

إعرف ذاتك ج 3

عن كتاب انطلاق الروح

للبابا شنودة الثالث

هل تظن يا أخى العابد أنك ستبنى ركنا فى الكنيسة بعلمك و ثقافتك ؟ ! يا لك من مسكين . الحق أقول لك ان لم تنطلق من اعتمادك على معرفتك فلن تصل الى الله ، و لن يبارك الله لك فى خدمة لأنك ان نجحت فسوف ينسب الناس نجاحك الى ما وهبه لك العالم من شهادات و اجازات علمية ، و هكذا يسلب من الله مجده و يعطى للعالم . الله - يا أخى المتعلم - قادر فى القرن العشرين أن يذهب الى البحيرة من جديد ، و يختار صيادا جاهلا لكى يقيمه رسولا و كاروزا . فيعلم الناس خيرا منك . ان الله عندما شق البحر الأحمر لم يختار لذلك قضيبا من ذهب ، و انما عصا بسيطة كانت توجد ملايين من مثيلاتها فى العالم .

فحاذر أن تظن فى نفسك أنك شئ ، أو أن تغتر بثقافة العالم . و حاذر - حتى فى حياتك الروحية الخاصة - أن تعتمد على معرفتك العالمية أو الدينية أو قراءاتك الروحية أو خبراتك القديمة . و انما كلما ازددت علما ، و كلما تعمقت فى الروح ، قف كل يوم أمام الله و أنت شاعر بجهلك و عجزك و أنت محتاج اليه ليرشدك ، كمبتدئ ، مهما كنت قديم الأيام . قف أمامه و أنت شاعر بحاجتك الماسة اليه ليحميك من أضعف الشياطين ، و من أبسط الخطايا فى نظرك ، و من أتفه الزلات أمام عينيك .

ليكن لك هذا الشعور . لأنى رأيت كثيرين بعد أن قرأوا و كتبوا عن عمق الروحيات يسقطون فى خطايا المبتدئين ... و أقول لك هذا أيضا خوفا من أن ثققت بعلمك الروحي و خبرتك الروحية . تجعلك تعتمد على ذراعك البشرى ، " و ملعون من يتكل على ذراع بشر " .

و اعلم يا أخى الحبيب أن كل علم روحى أو عالمى لا يقودك الى حياة الانسحاق و الى الشعور بالجهل ، هو علم باطل و خداع للنفس ، بل هو ضربة من الشيطان يصرفك بها عن أن تسأل و تطلب و تقرر الباب ... فاشعر يا أخى بجهلك اذ يقول الكتاب : " ان كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر ، فليصير جاهلا لكى يصير حكيما " (1 كو 3 : 18) .

و كما أنه أمام الله يتساوى الحكيم و الجاهل فى أنهما كليهما جاهلان و أن موت هذا كموت ذاك ، و نسمة واحدة تهب على الاثنين كذلك أمام الله يتساوى الضعيف و القوى لأنهما كليهما ضعيفان ، اذ ليست هناك قوة لأحد فى حضرة الله .

هل تعتقد يا صديق أنك قوى ؟ اذن فمن أين أتتك القوة ؟ انها ليست من ذاتك طبعاً لأنك تراب و رماد ، بل عدم و فناء . و هى ليست من كائن آخر غير الله ، لأنه – تبارك اسمه – هو وحده القوى ، و منه تستمد كل قوة . فهل قوتك اذن من الله ؟ ان كان الأمر كذلك فلماذا تتفخر ؟ و لماذا تتصلف ؟ و لماذا تستخدم قوة الله فى غير أعمال الله ؟ اذن فان افتخر أحد فليفتخر بالرب ، لأنه – تعالى فى مجده – مصدر كل شئ يدعو الى الفخار ، و ان كنت أيها الانسان الضعيف بطبيعتك قويا بالله ، فقل اذن كما قال الطوباوى بولس : " فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتي لكى تحل على قوة المسيح . لذلك أسر فى الضعفات ... لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى " . (2 كو 12 : 9 ، 10) .